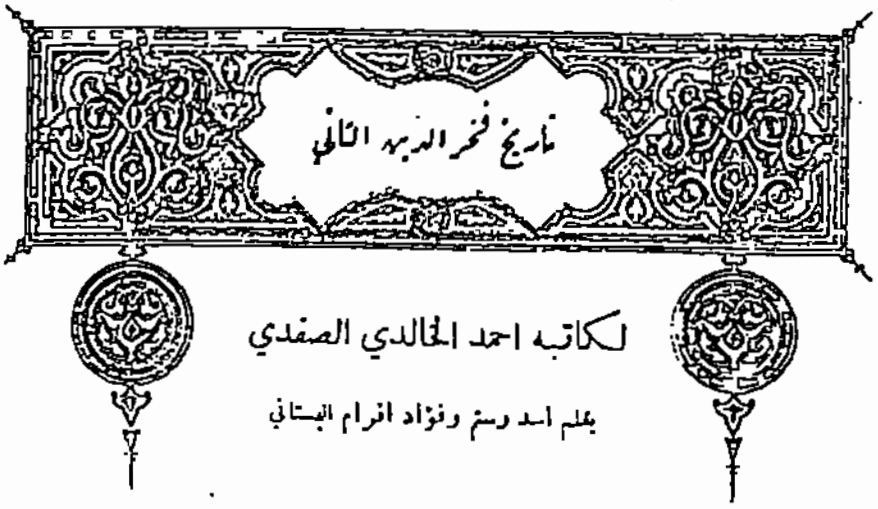

تنشر مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة في الجمهورية اللبنانية بنشر النصوص الاصلية لتاريخ لبنان في العصور الوسطى والمتأخرة . وقد عهدت الى الاستاذين اسد رستم وفؤاد افرام البستاني في التفتيش عن هذه النصوص ودرسها وضبطها ، ونشرها نشرًا علميًا يتضمن التعليق عليها ووضع مقدماتها وفهارسها . فجدّ الاستاذان في القيام بهذه المهمة ، وأخرجا ، في السنة ١٩٣٦ ، سلسلة اولى من هذه المنشورات تضمنت ، في ثلاثة مجلدات كبيرة ، تاريخ « لبنان في عهد الشهابيين » للامير حيدر احمد الشهابي (١ . وها انهما يتجران اليوم طبع تاريخ « لبنان في عهد الامير فخر الدين الثاني » لكاتبه احمد الخالدي الصفدي ؛ وسيطر جاءه قريبًا ، عن المطبعة الكاثوليكية . وقد رأينا ان نشعف قرّاءنا الكرام بقسم من المقدمة التي وضعاها في تعريف المؤلف والمؤلف :

المؤلف

هو احمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي . وُلد بصفد ، ونشأ بها . ثم ارتحل الى القاهرة ، وطلب العلم فيها . فدرس البخاري على محمد البهنسي العقبي ؛ وأخذ الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والتاريخ ، عن خطيب الجامع الازهر وقتئذٍ ، عبدالله بن بهاء الدين محمد بن جمال الدين عبدالله بن نور الدين الطنبذا التركي ، الشهير نسبه بالعجمي الشنشوري الفرضي . وأخذ ايضًا عن أحمد ابن شعبان العمري ، وعلي بن حسن الشرنبلالي ، ومحمد بن محيي الدين النحريري . ولما عاد الى فلسطين ، درّس ، وأفتى ، وناب في القضاء ، وألف[٢]

---

١) راجع المشرق ٣١ [١٩٣٣] ٢٨٣ ، ٢٦٦ ؛ ٣٣ [١٩٣٥] ٢١١

٢) محمد المحبي : خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (طبع مصر) ١ : ٢٩٧-

ومن مؤلفاته شرحه المفصّل على الكافية ، منه نسخة خطية في مكتبة برلين العمومية ، ومنها ايضاً تخميسه للقصيدة الهمزية للبوصيري[1] . ويذكر المحبي له كتاباً في العروض ، ورحلة الى الحج ، واخرى الى بيت المقدس.

وكان في اثناء ذلك انه تقرّب الى الامير فخر الدين المعني الثاني فاحبه ، واعتمد عليه في بعض المهمات ، كما يظهر من سياق هذا التاريخ الذي نحن بصدده الآن . فعمد القاضي الخالدي عندئذٍ الى تدوين المهمّ من هذه الاخبار التي شاهد بعضها ، واشترك في البعض الاخر منها . فنتج من عمله هذا مؤلف عظيم الفائدة ، تناقلته ايدي الفاخ اللبنانيين منذ ظهوره حتى الان . ولعلّ الامير فخر الدين نفسه هو الذي اشار على المؤلف بوضع هذا التاريخ . فقد ورد في المقدمة ما نصه : « هذا وقد اشار اليَّ من اشارته غنم ، ومخالفته غرم ، ان اسطّر في هذه الاوراق ما وقع للامير فخر الدين بن معن ، في زمن توليته علينا . . . مع امراء ايالة الشام وحكامها من الشقاق والنفاق ، وابين ما تعاطاه من الحروب بياناً شافياً يشتمل على انواع القضايا والضروب ، بحسب ما اسنده الينا الرواة الثقاة. »[2]

ومن الغريب ان لا يكون احدٌ من مترجمي الخالدي قد ذكر هذا المؤلف في تعداد الكتب التي وضعها. ولعلّ السبب في ذلك يرجع الى الخالدي نفسه . فاما ان يكون قد توفي قبل انهاء مؤلفه هذا ؛ او ان يكون قد اخفى أمرَ هذا الكتاب ، لما أورده فيه من عبارات المدح والاحترام للامير الدرزي اللبناني فخر الدين المعني الذي اتهمه علماء ذلك العصر بالزندقة والخروج عن قواعد السُنّة[3] . وقد يكون المحبّي نفسه أهمل ذكر هذا المؤلف ضنّاً بكرامة

---

٢٦٨ . راجع ايضاً الشيخ حسن البوريني : كتاب تراجم الاعيان من ابناء الزمان (خط) . وقابل بما ورد على هامش الصفحة ١١٦ من كتاب تاريخ الامير فخر الدين لبيب اسكندر المطوف (جونية ، سنة ١٩٣٦).

(١) *Die Handschriften - Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin*, Berlin, 1894, vol. VII. n°. 7833, VIII, n°. 6590

(٢) ص ٢ من مخطوطتنا.

(٣) المحبي : الكتاب المذكور ٣ : ٢٦٦-٢٦٧.

الخالدي ، ومحافظة على مكانته الدينية . ولا يخفى ما كانت عليه الناس ، في ذلك العصر ، من التعصب الطائفي ، وقصر النظر من هذا القبيل.

المؤلف

يتناول الخالدي في تاريخه هذا اخبار الامير فخر الدين المعني في لبنان وسائر الاقطار الشامية ، ما بين سنة ١٠٢١ وسنة ١٠٣٤ هجرية (١٦١٢—١٦٢٤ م) فيصف الخلاف الذي نشب بين الامير المعني واحمد باشا الحافظ ، والحرب التي نتجت منه . ثم فرار الامير الى ايطاليـــة . ويشير ، في عرض الكلام ، الى مغامرات الامير علي ابن الامير فخر الدين في حوران وشرق الاردن . ثم يذكر فصل حافظ باشا عن ايالة الشام ، وتعيين جركس باشا ، صديق المعنيين ، بدلاً منه ، وكيف نتج من هذا التعيين رجوع الامير فخر الدين الى هذه البلاد سنة ١٦١٨ ، واستلامه ازمّة الاحكام فيهـــا . وبعد ان يصف انتصاراته على آل سيفا في جهات طرابلس ، وحملاته على آل حرفوش في البقاع وبعلبك ، يذكر مواقعه في فلسطين حتى يافا.

نسخ الكتاب

وقد وجدنا لهذا المؤلف خمس نسخ خطية . منها النسخة ك ملك الشيخ كسروان الخازن ، محافظ طرابلس سابقاً . وهي تقع في ٣٥٢ صفحة ، بقطع ٢٠×١٣ سنتيمترًا . ورقها عبّادي صقيل من النوع الـــذي شاع استعماله في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر. وتمتاز عن اخواتها بتجانس اجزائها من حيث اللغة والاسلوب ، واختصاصها بالتأريخ الهجري.

والنسخة م رقم ٤٢٧ من مجموعة المكتبة العمومية بمدينة مونيخ الالمانية[1]. وهي تقع في ٣٤٥ صفحة من القطع المتوسط ٢١×١٦ سنتيمترًا . وقد جاء في آخرها انها بخط عبد اللطيف ابن الشيخ احمد الرشيدي « الصيدي بلدًا ومولـدًا

(١) J. Aumer, *Die arabischen Handschriften der k. Hof-und Staatsbibliothek in Muenchen*, Muenchen, 1866, n°. 427

والرشيدي اصلاً » . ولكننا ، بالرغم من هذا النص ، لا يمكننا ان نجزم بانها من خط السيد عبد اللطيف ، لاننا لم نجد من خطه حتى الآن ما يصح ان يكون اصلاً للمقابلة . وفي اوائلها عبارة بخط اسكندر اغا ابكاريوس هذا نصها : « خاصة الفقير اسكندر ابكاريوس »[1] مما يدل على انها كانت تباع وتشرى في منتصف القرن الماضي[2] . ولعلها اقدم من ذلك . منها نسخة بالفوتوستات بدار الكتب المصرية ، ونسخة عن هذه بالفوتوستات ايضاً في مكتبة جامعة بيروت الاميركية .

ونسخة جامعة پرنستن (Princeton University) في الولايات المتحدة باميركة . وهي رقم ٢١٩ من مجموعة روبرت گاريت (Robert Garret) . وقد ابتاعها لجامعة پرنستن من مكتبة المرحوم مراد بك البارودي ، الدكتور فيليب حتي . وهي تقع في ٢٨٢ صفحة بقطع متوسط ، اولها : « تاريخ الامير فخر الدين المعني تغمده الله بالرحمه » وآخرها : « تم الكتاب المبارك بفضل الله تعالى وتبارك بقلم العبد الفقير المقر بالذنب والتقصير فرنسيس ابن بو نجم يوسف بو نصر من قرية دير القمر تابعة صيدا المحروسة » والنسخة هذه مخرومة ، متقطعة ، حاملة آثار الهرم .

وقد استنسخها لنفسه ، بواسطة خليل منصور غريب ، الاستاذ عيسى اسكندر للمعلوف ، فتم له ذلك في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٢ . ثم قابلها بنسخة غيرها وجدها بمكتبة المشايخ بني الجميّل في بكفيا ، لبنان ، فاصلح خرمها ، واكمل ناقصها ، في اواخر شهر ايار سنة ١٩٢٠ . ونسخة الاستاذ معلوف هذه قد اشرنا اليها بالحرفين ج ب . وهي رقم ٣٨٠٥٠ من مكتبة جامعة بيروت الاميركية ، تقع في ٢٤٨ صفحة بقطع ١٧×٢٢ سنتيمتراً . وقد علق

---

١) ولا نرى مبرراً لتردد المستشرق يوسف اوبر (Aubner) في قراءة هذا الاسم ، كما ورد تحت رقمي ٦٣٦ و٦٣٧ من مجموعته المشار اليها آنفاً .

٢) اطلب حياة اسكندر ابكاريوس في كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ، مصر ، ٦ : ٣٨٨ . راجع ايضاً « آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر » للاب لويس شيخو ، بيروت ، ١٩١٠ ، ٢ : ١١٥-١١٦

عليها الاستاذ المطوف بما يلي ننشره بحرفه وتمامه ، اكمالاً للوصف :

« نقلت من نسخة قديمة في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٢ م وهذه النسخة وجدت في مكتبة صديقنا هرتلو مراد بك البارودي اللبناني الصيدلي في بيروت ولقد قابلتها على نسخة اخرى مختصرة في مكتبة المشايخ بني الجميّل في قصبة بكفيا (المتن) واستنسخت الناقص واصلحت المترم بالاشارة اليه وذلك في مدينة زحلة (لبنان) في اواخر شهر ايار سنة ١٩٣٠ م والحمد لله اولاً وآخراً كتبه الفقير عيسى اسكندر المطوف

« يقول مقتني النسخة عيسى اسكندر المطوف في ترجمة الشيخ احمد الخالدي الصفدي ما ملخصه من ترجمة مطولة عنده هو احمد بن محمد من اسرة في صفد تنتسب الى الامام خالد ابن الوليد والذي صرح به النسابة ان خالداً هذا لم يعقب ولكن يظهر انهم من سلائل بني عمه لان كثيرين ينتسبون الى الخالديين هؤلاء والله اعلم بصحة انسابهم .

« اتصل الشيخ احمد هذا بالامير المتني ودون حوادثه في هذا التاريخ ولقد توهم الشيخ طنوس الشدياق في كتابه (اخبار الاعيان في جبل لبنان) ان للمتني تاريخين احدهما الخالدي والثاني للصفدي والصحيح ان الاسمين لمسمى واحد اي ان احمد بن محمد هذا هو الخالدي نسبة الى اسرته والصفدي الى موطنه فهما للبنان له متواليان وظن بعض المؤرخين ان للشيخ ابي نوفل المخازن تاريخاً للمتني ولم نجد لذلك اثراً عند اسرته المخازنية ولا رواية من احدهم تثبت ذلك بل المرجح عندنا بعد البحث ان ابا نوفل ربما كان ناسخاً لهذا التاريخ او مقتنياً له وواضعاً اسمه عليه والنسخة ليس فيها اسم المؤلف فقيل ذلك وممن روى هذا (ذي لا كروا) في كتابه ولهذا التاريخ نسخ متعددة منها ما هو مطول فيه وصف رحلته الى توسكانه وهذه النسخة احداها ومنها ما هي خالية من الرحلة مقتصرة على حوادث المتني في بلادنا فقط ومنها نسخ متعددة احداها عند المخازنة

« ومن مؤلفاته شرحه على الفية ابن مالك ورحلته الى القدس نظماً اما تاريخه للمتني فلم يذكره مترجموه وقد ضمنه حوادث المتني من سنة ١٠٢٠ هـ - سنة ١٠٣٣ هـ ١٦١٢ م - ١٦٢٣م وذلك قبل وفاته بالثني عشرة سنة وهذه نسخة منه مخزومة باخرها اصلحتها على قدر الطاقة بالمعارضة والمراجعة وقد نشرت معظم هذا التاريخ في مجلتي (الاثار) في سنواتها الثلاث المتوالية مع رسم الامير المتني الشهير معتمداً على مخطوطات كثيرة ورحلات اوروبيين وغيرهم . ووضعت تاريخاً مطولاً له بصور وحواشي من مصادر مختلفة عربية وافرنسية وايطالية وانكليزية والمانية وروسية وتركية اخذت معظمها من هذا الكتاب اما شؤونه في اوربة فنقلتها عنه بالحرف بلغتها الاصلية ولعلي اتمكن من نشره

« كتبها الفقير الى رحمة ربه عيسى اسكندر المطوف »

نقول : لقد احسن الاستاذ المطوف في تدوين الاختلافات بين النسختين البارودية والجميلية ، لاننا لم نقف حتى الآن على اثر لنسخة بني جميّل . ولكننا ، مع الاعتراف بجهوده واتعابه في هذا المضمار ، لا يسعنا الا ان نقول بان النسخة

ج ب لا تزال مخرومة متقطعة ، وان بعض اصلاحات الاستاذ المعلوف من هذا القبيل لم يقع في محله ، وسنشير الى هذا الخطأ في مكانه ، على هامش الكتاب .

ووجدنا ايضاً نسخة اخرى في مدينة طرابلس لدى المؤرخ برجي افندي يني - استنسخها لنفسه عن نسخة للخوازنة . وبعد المقابلة بين هذه النسخة والنسخة ك ، وجدنا انها لا تختلف عنها بتاتاً . ولذا فاننا اهملنا الاشارة اليها في هامش الكتاب .

طريقتنا في النشر

فيكون لدينا ، والحالة هذه ، نسخ متعددة عن اصل مفقود . فيجدر بنا اذاً ان نقيد بعضها ، ولاسيما ما يعتمد منها على سابق له . وعليه فاننا قد اهملنا نسخة برجي افندي يني ، لانها تتفق كل الاتفاق مع النسخة ك التي هي اقدم منها . ولما كانت ك ، مع هذا الاتفاق التام ، موجودة لدى الخوازنة ، وكان برجي افندي يني قد نسخ عن نسخة خازنية ، اصبح من المحتمل ان يكون قد نسخ عنها نفسها . وكذلك فانه بالامكان ان تعتبر نسخة جامعة برنستن ، والنسخة ج ب ، نسخة واحدة ؛ لان الاستاذ المعلوف يعترف بهذه الصلة ، ولان المقابلة بين النسختين تؤيدها . وقد آثرنا ان نشير في الهامش الى ج ب ، لا الى نسخة برنستن ، لان الاستاذ المعلوف يحفظ لنا في نسخته بعض الاختلافات بينها وبين النسخة « الجبيلية » ، وقد اشرنا الى هذه الفروقات في محلاتها .

وقد لاحظنا ايضاً علاقة ظاهرة بين النسختين م و ج ب ؛ وذلك بالاغلاط المشتركة بينهما . فقد ورد مثلاً في كل من هاتين النسختين ما نصه : « فلما عاد مصطفى كتخدا واعلم الامير علي بالذي صار في بعلبك من الاتفاق وكتب الحجه واستدانته من ابن الحرفوش العشرة الاف غرش وارسلها لابن الحرفوش واستكثر خيره . »[1] وهو كلام مشوّه بدليل النقص في معناه . ولا

١) الصفحة ٦٤ من طبعتنا .

ينجلي المعنى الا بالاتكال على ك فنقرأ عندئذٍ: « فلما عاد مصطفى كتخدا واعلم الامير علي بالذي صار في بعلبك من الاتفاق وكتب الحجه واستدانته من ابن الحرفوش العشرة الاف غرش ودفعه اياها لارباب الديون في الحال جهز الامير علي العشرة الاف غرش وارسلها لابن الحرفوش وتشكر منه ». وفي الصفحة ٨٣ من الكتاب مثال آخر يؤيد هذه الصلة بين النسختين. فقد ورد في كل منها ان الوزير « خليل باشا عين جملة بكلربكية وسناجق ومعهم عشرون الف عسكري جرد خيل وتوجهوا الى اخذ المكس من المذكورين تصور باله ان لا بد ان يجي الى كيسهم ». وفي هذا القول نقص ظاهر. وصحيحه، كما ورد في ك: « وتوجهوا الى اخذ المكس من المذكورين فلما علم الشاه عباس ان جماعة الوزير مروا على التركمان والاكراد المذكورين تصور في باله انه لا بد يجي الى كيسهم » الخ. هذا وقد اشرنا الى جميع الاغلاط المشتركة بين هاتين النسختين في محلاتها، وهي تربو على الستين. ولا يخفى ان النساخ لا يُجمعون على غلطة ما الا ويكون احدهم قد اخذ عن صاحبه، كما انه ليس من المحتمل ان يتفقوا منفردين بعضهم عن بعض الا على الصحة[1]. فاما ان تكون نسخة پرنستن منقولة عن م، او ان تكون م ونسخة پرنستن منقولتين عن اصل واحد مفقود.

فليس لدينا اذاً، بعد هذه التربلة وهذا النبذ، الا نسختان رئيسيتان هما ك و م فيتوجب علينا ان نقابلهما الواحدة بالاخرى ونتقي منهما ما زاه اقرب لعصر المؤلف، وللغته، واسلوبه، فنثبت نصه في المتن ونرجئ للهامش نصّ النسخة الاخرى، وهكذا فعلنا.

وقد عثرنا في متن م وج ب على اخبار مفصلة للرحلة التي قام بها الامير فخر الدين الى ايطالية. ونرى انها ليست للخالدي. ولعلها دُسّت عليه. وذلك لان لغتها، من حيث القواعد الاساسية والاسلوب، لا تتفق مع لغة المتن الذي وضعه الخالدي. فبينما نرى هذا العالِمَ الازهري يقول « حمداً لمن جعل نظام

---

١) راجع اسد رستم: الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ١: ٥-٦

العالم فضلاً منه صلة الى تصحيح معاش ابن آدم » ، نقرأ في اخبار هذه الرحلة: « ايش معك من اين جاي ايش هذه المسلمين الى الدار التي برات المدينة » وكذلك فان تواريخ هذه الرحلة مسيحية ، وتواريخ الكتاب هجرية. زد على هذا ان النسخة لا تحتوي الا على اخبار وجيزة لهذه الرحلة تتفق وتتسق مع سائر الكتاب.

وقد لاحظنا ايضاً ان هناك زيادة في اكثر من موضع لم يتجاوز الكلام فيها السطرين او الثلاثة ، فاكتفينا بالاشارة اليها في محلها . ولعل مدخل هذه الاخبار هنا وهناك هو احد الخوازنة الذين عُرف عنهم شيء من الاهتمام بتاريخ الامير فخرالدين، حتى روى الرحالة الفرنسي دي لاروك[1] ان ابا نوفل الخازن ألّف في تاريخ الامير فخر الدين. اضف الى ذلك ان اكثر هذه النتف المنسوبة تتعلق بالحوادث التي اشترك فيها الخوازنة.

اما خطتنا في النشر، من حيث ضبط المتن وتعليقات الهوامش وغير ذلك، فهي الخطة نفسها التي اتبعناها في نشرنا للمجلدات الثلاثة الاولى من منشورات مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة ؛ فلتراجع في محلها[2].

---

١) De la Roque, *Voyage en Syrie*, Paris, 1722 ; II, 132, 133

٢) لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، : ص يح – يط.